

إشكالية المصطلح في الرواية التاريخية: مقاربة نقدية في جدلية السرد والتاريخ
The Problematic of Terminology in Historical Novels: A Critical Approach to the
Dialectic of Narration and Historiography

د. عربي سعاد¹

¹ جامعة أبو القاسم سعد الله - الجزائر 2 ، souad.aribi@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2026/01/15 تاريخ القبول: 2026/04/19 تاريخ النشر: 2026/06/01

ملخص:

يتناول هذا المقال التعقيدات الاصطلاحية والمفاهيمية المحيطة بـ "الرواية التاريخية" بوصفها جنساً أدبياً يقوم على الموازنة بين الحقيقة التاريخية والسرد الروائي. ويدرس أيضاً الأطر النظرية "لبول ريكور" و"هايدن وايت" فيما يتعلق بـ "السرد التاريخي" و"محتوى الشكل". كما يحلل الجدل النقدي العربي المعاصر حول المصطلح البديل، بدءاً من "التخييل التاريخي" لعبد الله إبراهيم وصولاً إلى "الرواية الاستقصائية" لوسيني الأعرج. ومن خلال استكشاف هذه التحولات، يبرز المقال كيف تعمل الرواية التاريخية كـ "تاريخ بديل" يستعيد الأصوات المهمشة والأبعاد الإنسانية التي أغفلتها الكتابة التاريخية الرسمية. ونخلص إلى أن سيولة هذه المصطلحات تعكس مقاومة الجنس الأدبي للتصنيف الصارم ودوره المحوري في إعادة تشكيل فهمنا للماضي من خلال منظور الهوية المعاصرة. الكلمات مفتاحية: الرواية التاريخية، الخيال التاريخي، الهوية السردية، بول ريكور، هايدن وايت، الرواية الاستقصائية، السرد التاريخي.

Abstract:

This article explores the terminological and conceptual complexities surrounding the "Historical Novel" as a literary genre predicated on the precarious juxtaposition of historical fact and narrative fiction. The study examines the theoretical frameworks of Paul Ricœur and Hayden White regarding the "poetics of history" and the "content of the form." Furthermore, it analyzes the contemporary Arabic critical debate over alternative nomenclatures, ranging from Abdullah Ibrahim's "Historical Imagination" to Wassiny Laredj's "Investigative Novel." By investigating these shifts, the article highlights how the historical novel functions as an "alternative history"—one that reclaims the marginalized voices and human dimensions overlooked by official historiography. It concludes that the fluidity of these terms reflects the genre's inherent resistance to rigid categorization and its pivotal role in reshaping our understanding of the past through the lens of contemporary identity.

Keywords: Historical Novel, Historical Imagination, Narrative Identity, Paul Ricœur, Hayden White, Investigative Novel, Historiography.

* المؤلف المرسل: الاسم واللقب

يحتل السرد اليوم صدارة الدراسات الفلسفية والتاريخية والنقدية المعاصرة؛ انطلاقاً من فرضية مفادها أن "التاريخ يمتلك سلطة السرد الكبرى، وما الرواية إلا تابع متمرّد عليه". من هنا تبرز خصوصية مصطلح "الرواية التاريخية" بوصفه تسمية إشكالية؛ فهو مصطلح "شكلي" قبل أن يكون دلاليًا. ففي هذا الجنس الأدبي، يهيمن الخطاب الروائي هيمنة احتوائية، بينما ينشغل الخطاب التاريخي بوظيفة "المضمون". فينقاد لتشكلات الفن الروائي وقوانينه أكثر من انصياعه لصرامة التاريخ وأصوله التوثيقية، وعليه تتمحور إشكالية هذا المقال حول مدى مشروعية استمرار مصطلح "الرواية التاريخية" في ظل التحولات الفلسفية الحديثة. فهل الرواية مجرد "خادم" للتاريخ ينقل وقائعه بأسلوب مشوق؟ أم أنّها قادرة على إنتاج "حقيقة بديلة" تتجاوز صرامة الوثيقة؟

1.1. المرجعية الفلسفية للسرد والتاريخ

لا يمكن فهم إشكالية المصطلح في الرواية التاريخية دون العودة إلى الجذور الفلسفية التي بحثت في "ماهية الزمن" وكيفية تمثيله لغويًا. فالتاريخ يدّعي رصد الزمن "الواقعي" الذي مضى، بينما تدّعي الرواية بناء زمن "متخيل". غير أن النظريات الحديثة أثبتت أن كلاً من المؤرخ والروائي يشتركان في كونهما "حكائيين" يستخدمان اللغة وسيطاً لإدراك العالم.

1. بول ريكور: ثلاثية "الزمن والسرد" والوحدة الأنطولوجية

ويعد "بول ريكور Paul Ricœur" من النقاد الذين اهتموا بالبحث في علاقة الترابط والتعلق القائمة بين السرد والتاريخ، بل جعله محوراً هاماً للكثير من دراساته وأبحاثه الفلسفية والتاريخية، وله في ذلك كتاب بعنوان "الزمن والسرد" (Temps et récit) الصادر في ثمانينيات القرن العشرين. وتكمن عبقرية بول ريكور في أنّه لم يكتفِ بربط الأدب بالتاريخ، بل جعلهما ضرورة لبعضهما البعض من خلال مفهوم "المحاكاة الثلاثية" (Triple Mimesis).

• أولاً: الحبكة كأداة للمصاهرة بين التاريخ والخيال: يرى بول ريكور أن "الحبكة" (L'intrigue) هي الخيط الناظم الذي يحول الأحداث المشتتة إلى "قصة" مفهومة. فالمؤرخ لا يكتفي بسرد وقائع، بل "يحبكها" ليجعلها

منطقية (بول ريكور ص 12)، والروائي يفعل الأمر ذاته. ومن هنا، فإن الفارق بينهما يتقلص؛ فالتاريخ يصبح "سرداً واقعياً" والرواية تصبح "سرداً تخيلياً"، وكلاهما يدور في فلك "الزمان المروي".

• ثانياً: الأنطولوجيا السردية: انطلق بول ريكور من فكرة أن "الزمن يصبح زمناً إنسانياً بقدر ما يُعبر عنه بطريقة سردية". لذا فإن الكتابة التاريخية ليست مجرد "تراكم وثائق"، بل هي عملية إعادة بناء للماضي تشبه في آلياتها بناء الرواية. هذا التوجه هو ما دفع "هايدن وايت" لوصف عمل ريكور بأنه أهم عملية تأليف جمعت بين النظرية الأدبية والتاريخية في القرن العشرين (هايدن وايت، ص 170).

2. هايدن وايت: "ميتا-تاريخ" وهدم جدار الوثيقة

إذا كان ريكور قد قارب الأمر فلسفياً، فإن المؤرخ الأمريكي هايدن وايت (Hayden White) قد قاربه لسانياً وبلاغياً. في كتابه الشهير "محتوى الشكل" (The Content of the Form)، أحدث وايت ثورة في مفهوم "التمثيل التاريخي".

• أ- السرد كفعل تأويلي: يجادل وايت بأن الوقائع التاريخية في حد ذاتها "صامتة"، والمؤرخ هو من يمنحها صوتاً عبر اختيار "قالب بلاغي" (مجاز، استعارة، كناية) (White Hayden, p 2) فالمؤرخ عندما يختار ترتيب أحداث معينة وإغفال أخرى، فإنه يمارس فعلاً "تخيالياً" بالضرورة لتحقيق وحدة الأثر.

• ب- إلغاء ثنائية (الشكل/المحتوى): يرفض هايدن وايت اعتبار الشكل الروائي مجرد "زينة" للمحتوى التاريخي. بل يرى أن "الشكل هو المحتوى"؛ فأسلوب السرد والتشويق والروابط السببية هي التي تحدد كيفية فهمنا للتاريخ. ومن هنا، تصبح الرواية التاريخية -بمنظوره- ليست تزويراً للتاريخ، بل هي استكمال لوظيفته في جعل الماضي "قابلاً للاستهلاك الفكري والجمالي".

3. بول فاين: التاريخ بوصفه "رواية حقيقية"

يأتي المؤرخ الفرنسي بول فاين (Paul Veyne) ليعزز هذا الطرح في كتابه "كيف نكتب التاريخ". ويطلق صرخته الشهيرة: "التاريخ هو رواية حقيقية". المقصود هنا ليس أنّ التاريخ كذب، بل أن المؤرخ يروي أحداثاً "فعلها البشر" (بول فاين، ص 15)، وبما أنّ البشر هم مادة القص، فإنّ التاريخ لا يمكن أن يُكتب إلا كقصّة. الفرق الوحيد هو أن المؤرخ "مقيد" بالحدث الواقعي، بينما الروائي "حر" في ملء الفجوات، لكن كلاهما يستخدم "المخيلة" لإعادة بناء مشهد غائب.

2.2- من "الرواية التاريخية" إلى "التخيل التاريخي"

يرى عبد الله إبراهيم أن مصطلح "الرواية التاريخية" الذي شاع منذ "جورج زيدان" وحتى نهاية القرن العشرين، قد استنفد طاقته الوصفية. لقد كان هذا المصطلح يقوم على فكرة "التبعية"؛ أي أنّ الرواية مجرد وعاء لتبسيط التاريخ أو تقديمه في قالب مشوق (عبد الله إبراهيم ص 05). ومن هنا انطلق عبد الله إبراهيم في كتابه "التخيل التاريخي: السرد، الإمبراطورية، والتجربة الاستعمارية ليعلن "موت" المصطلح القديم-الرواية التاريخية-ولادة مصطلح "التخيل التاريخي.(Imaginaire historique)

1- التخيل التاريخي بوصفه "تركيباً ثالثاً"

لا ينظر عبد الله إبراهيم إلى التخيل التاريخي كمجرد مرادف للرواية التاريخية، بل يعرفه بوصفه "كائناً معرفياً جديداً" ينتج عن صهر عنصرين:

• العنصر الأول: المادة التاريخية المدعمة بالوثائق (المرجع).

• العنصر الثاني: السرد المعزز بالخيال (التخيل).

عندما يلتقي هذان العنصران، يذوب "الوقائعي" في "المتخيل" لينتج "التركيب الثالث". في هذا التركيب، تفقد الوثيقة وظيفتها التعليمية أو التوثيقية الصرفة، وتتحول إلى أداة جمالية ورمزية. والهدف هنا ليس معرفة "ماذا حدث؟" (وظيفة المؤرخ)، بل معرفة "كيف يمكن تمثيل ما حدث؟" (وظيفة الروائي).

2- تفكيك ثنائية (المرجع / المتخيل)

تعتبر هذه النقطة هي العمود الفقري لأطروحة عبد الله إبراهيم؛ فهو يسعى لردم الهوة بين ما هو "حقيقي" وما هو "مختلق".

• كبح البحث في المطابقة: يرى عبد الله إبراهيم أنّ النقد العرب لزمان طويل انشغلوا بمقدار أمانة الروائي

للتاريخ، وهو ما اعتبره "عائقاً نقدياً". التخيل التاريخي يحلّ الروائي من سطوة "الرقابة التاريخية".

• البحث في المسارات الكبرى: إنّ الإحلال الاصطلاحي يدفع بالكتابة السردية للبحث عن "العبر المتناظرة"

والتمثلات الرمزية والانهيئات القيمية، بدلاً من الانشغال بتواريخ المعارك أو أسماء القادة بشكل حرفي (عبد الله

إبراهيم ص 18).

3- مبررات "الشيخوخة" والاحتياج للتجديد

يعلل عبد الله إبراهيم اتهامه لمصطلح "الرواية التاريخية" بالشيخوخة (عبد الله إبراهيم، ص 1) من خلال

ثلاثة مبررات:

1. العجز عن الإحاطة: الرواية المعاصرة (بعد الحداثة) أصبحت تستخدم التاريخ كقناع، وتتلاعب بالوثائق، وتختزع تواريخ بديلة، وهو ما لا يستوعبه المصطلح الكلاسيكي-الرواية التاريخية- الذي يفترض "احترام التاريخ".
2. تخطي الأجناس: مصطلح "التخييل التاريخي" أكثر رحابة؛ فهو يمكن أن يشمل (الرواية، المسرحية، الملحمة، وحتى السينما)، بينما مصطلح "الرواية التاريخية" يحصر الظاهرة في جنس أدبي واحد.
3. الهوية السردية: يرى عبد الله إبراهيم أنّ المجتمعات التي تمرّ بأزمات وجودية (مثل المجتمع العربي المعاصر) تلجأ للماضي لإعادة بناء هويتها. هذا "الشروء نحو الماضي" يحتاج لوعاء اصطلاحي يجمع بين "الرغبة في التأصيل" و"حرية التخييل".

4- وظيفة "التخييل التاريخي" في الحاضر

يؤكد عبد الله إبراهيم في إحدى مقالاته (عبد الله إبراهيم مجلة الجديد 2016). أن وجود الماضي في قلب

الحاضر ليس ترفاً، بل هو "ذريعة لإنتاج هوية". التخييل التاريخي هو الذي يسمح لنا بـ:

• استنطاق المسكوت عنه في التاريخ الرسمي.

• تحويل التاريخ من "سلطة قمعية" إلى "تجربة داعمة للمعرفة".

• خلق "صفاء كامل" لمسارات الأمم عبر إعادة صياغة انكساراتها وانتصاراتها سردياً.

و بالتالي فإنّ الانتقال من "الرواية التاريخية" إلى "التخييل التاريخي" عند عبد الله إبراهيم ليس مجرد

استبدال لغوي، بل هو انقلاب منهجي يهدف إلى منح الشرعية للروائي ليكون "مؤرخاً للروح" لا "مؤرخاً للوقائع". هذا

الطرح هو الذي سيفتح الباب أمام المباحث القادمة لمناقشة الصدمة التي أحدثها هذا المصطلح لدى نقاد آخرين

مثل سعيد يقطين ونادية هناوي

3.3- الاستجابة النقدية العربية وجدل "الإحلال الاصطلاحي"

أحدثت أطروحة عبد الله إبراهيم حول "التخييل التاريخي" جدلاً في الساحة النقدية العربية؛ فبينما رأى فيها البعض مخرجاً من مأزق الوثيقة، اعتبرها آخرون تهديداً لاستقرار المفاهيم الأجنبية. لذلك سنتناول هذه الآراء وفق ثلاث مواقف نقدية:

1. الموقف الأول: سعيد يقطين ومأزق التناقض المنهجي

ينطلق سعيد يقطين في معارضته من مبدأ "التراكم المعرفي"؛ حيث يرى أن المصطلحات لا تموت بمجرد اقتراح بدائل، بل تتطور من داخل سيرورتها التاريخية. (سعيد يقطين 2012) ولقد تساءل سعيد يقطين: هل هذا الاستبدال نابع من داخل نظرية الأنواع أم من خارجها؟ لشير إلى وجود تناقض بنيوي في دعوة عبد الله إبراهيم؛ الذي يدعو إلى "تخطي مشكلة الأنواع" وفي الوقت نفسه يقترح مصطلح (التخييل التاريخي) ليحل محل مصطلح (الرواية التاريخية). هذا يعني أنه لا يزال محبوساً داخل أسوار نظرية الأجناس التي يدعي رفضها.

• الدفاع عن مصطلح "الرواية التاريخية": يرى سعيد يقطين أن هذا المصطلح-الرواية التاريخية-يمتلك "شرعية تاريخية" في المنجز الروائي العالمي والعربي، وإلغاؤه بدعوى "الشيخوخة" هو حكم قيمي وليس وصفاً بنيوياً. بالنسبة لسعيد يقطين، المشكلة ليست في المصطلح بل في "طريقة استخدامه" وتطويره.

2. الموقف الثاني: نادية هناوي ونقض المركزية

تقدم الناقدة نادية هناوي قراءة نقدية تتجاوز مجرد الرفض اللساني إلى محاكمة "الحاضن الثقافي" للمصطلح. في كتابها "السرد القابض على التاريخ"، تضع نادية هناوي بديلها الخاص: "رواية التاريخ". من منطلق أن مصطلح "التخييل التاريخي" غير موفق؛ لأنه "يقطع" الصلة بين الرواية وتاريخها الأدبي الطويل، وكأن الرواية التاريخية كانت خالية من التخييل قبل ظهور المصطلح. (نادية هناوي ص14)، لذلك إقترحت نادية هناوي مصطلح "رواية التاريخ" ليكون معبراً عن "نقض الثقافة المتروبولية" (المركزية). فالمصطلح عندها ليس مجرد وصف فني، بل هو "فعل استعادة" للأطراف والهوامش. هي ترى أن مصطلح "رواية التاريخ" قادر على صهر الوثيقة في السرد بحيث لا يعود التاريخ كما حدث فعلاً، بل كما "يجب أن يُروى" لاستعادة الهوية الجمعية المسكوت عنها.

3. الموقف الثالث: فاضل ثامر و"الميتاسرد"

ينحو الناقد فاضل ثامر منحى "ما بعد حداثي" في معارضته، حيث يرى أن إشكالية المصطلح العربي تكمن في محاولته الانغلاق على نفسه بدلاً من الانفتاح على المفاهيم العالمية المعاصرة. (فاضل ثامر ص50) لذلك فمصطلح "التخييل التاريخي" يظل عرضة للتساؤل واللبس، ولا يُقدم دلالة فنية دقيقة تميزه عن الرواية التقليدية. فتبنى فاضل ثامر مصطلح "الميتاسرد التاريخي" (Historiographic Metafiction) المستقى من "ليندا هوتشون". ميزة هذا المصطلح في نظره هي:

1. الشمولية: قدرته على استيعاب النصوص التي "تنتقد نفسها" وتكشف عن آليات بنائها التاريخي.

2. التدخل الأجناسي: قدرته على احتواء الوثائق، الخطاطات، والتداخلات اللغوية والميتا-لغوية التي تميز

الرواية العربية الجديدة.

ويكشف هذا الجدل النقدي أن "المصطلح" في الرواية التاريخية ليس مجرد تسمية تقنية، بل هو موقف أيديولوجي ومنهجي. فبينما يتمسك يقطين بـ "النوع"، وتراهن نادية هناوي على "الثقافة واللاتمركز"، يسعى فاضل ثامر لربط السرد العربي بـ "ما بعد الحداثة" العالمية. 4.4- "الرواية الاستقصائية" وتقاطعات السرد والتحري
بينما انشغل النقاد السابقون بتفكيك مصطلح "الرواية التاريخية" من منظورات أجناسية أو ما بعد حداثية، ذهب الروائي والناقد واسيني الأعرج نحو منعطف إجرائي جديد، محاولاً تبني مصطلح ينتمي في الأصل إلى الحقل الصحفي والقانوني وهو "الاستقصاء"، ليصبح نوعاً روائياً قائماً بذاته.

1. مفهوم الرواية الاستقصائية (Le roman d'investigation)

يرى واسيني الأعرج أن الرواية الاستقصائية ليست مجرد سرد لأحداث ماضية، بل هي عملية "تحرٍ أدبي"

شاملة. (واسيني الأعرج ص 24) ويفرق واسيني الأعرج بدقة بين نوعين من التحري:

- التحري البوليسي: يهدف للوصول إلى حقيقة إجرامية ومعاقبة الجاني.
- التحري الاستقصائي الأدبي: يهدف للوصول إلى "الحقيقة الأدبية" وإعادة صياغة التاريخ روائياً ملء البياضات التي تركها المؤرخون.

في هذا النوع، لا يهم إذا غابت الحقيقة المطلقة، لأن "التخييل" يتدخل لمنح الواقعة فرصة ثانية للظهور. الاستقصاء هنا هو "وسيلة" لإنجاز عمل أدبي يأتي بعد رحلة طويلة من البحث الميداني، والركض وراء الوثائق الغائبة، وتتبع مسارات الشخصيات في الأمكنة الحقيقية.

2- تجربة رواية "كتاب الأمير" كنموذج تطبيقي

يقدم واسيني الأعرج تجربته في رواية "كتاب الأمير: مسالك أبواب الحديد" كدليل على مشقة واحتياج هذا المصطلح. يوضح الأعرج أن كتابة رواية عن شخصية بحجم "الأمير عبد القادر" تطلبت منه:

- أربع سنوات من التقصي: في المكتبات الوطنية والفرنسية.

- استنطاق المسكوت عنه: اكتشاف علاقة الأمير بـ "مونسينيور ديبوش"، وهي جزئية أهملها التاريخ الرسمي

الجزائري والفرنسي على حد سواء.

- تحويل الوثيقة إلى جمالية: الكتاب الذي عثر عليه في المكتبة الوطنية (عبد القادر في قصر أمبواز) لم يصفه

كمعلومة تاريخية صماء، بل صهره داخل البنية السردية ليكون نواة للحوار الحضاري والديني في الرواية.

هنا، يتحول التاريخ من "مادة جزائية" أو "توثيق رسمي" إلى "عطر" يقربنا من عصر بكامله، وهو ما يمنح

الرواية الاستقصائية دهشها الخاصة.

2- محمد خيضر سلطان ومأزق "التبيء"

لم يمر هذا المصطلح دون نقد لاذع، خاصة من قبل النقاد العراقيين الذين اهتموا بتأصيل المصطلحات.

يعبر محمد خيضر سلطان (تعقيباً على كتابات جاسم جبير وواسيني الأعرج) عن رفضه لهذا المصطلح بناءً على تمايز

الوظائف بين الإعلام والأدب (محمد خيضر سلطان ص12):

- فخ الإعلامية: يرى سلطان أن "الصحافة الاستقصائية" تهدف لكسر الذهنية السائدة وتغيير الرأي العام عبر

معلومات موثقة ويقينية. أما الرواية، فالحقيقة فيها تظل "احتمالية" و"تخيلية".

- مشكلة التعميم: يجادل النقاد بأن "الاستقصاء" هو خاصية بشرية ومعرفية عامة توجد في كل المجالات

(العلم، القانون، الحياة اليومية)، وبالتالي لا يمكن اعتبارها "جنساً روائياً" مستقلاً، بل هي تقنية من تقنيات الكتابة

يمكن أن توجد في أي رواية.

• الذاتية الإبداعية: يُنظر إلى دفاع واسيني الأعرج عن هذا المصطلح بوصفه "تفسيراً لأسلوبه الشخصي" في

الكتابة أكثر من كونه تأصيلاً لنظرية نقدية عامة يمكن تعميمها.

3.- قراءة نقدية في جدوى المصطلح

رغم الرفض النقدي، إلا أن مصطلح "الرواية الاستقصائية" يطرح إشكالية هامة في "سوسيولوجيا الرواية":

وهي أنّ الروائي العربي المعاصر لم يعد يثق في التاريخ المكتوب، فأصبح يمارس دور "المحقق" لاستعادة الحقائق

المؤودة. إنّ هذا المصطلح، وإن واجه صعوبات في القبول النقدي الأكاديمي، إلا أنه يجسد حالة "التعب الإبداعي"

والرغبة في الخروج من فضاء الخيال المحض إلى فضاء "المسؤولية المعرفية" تجاه التاريخ.

خاتمة

لا يمكن حصر إشكالية المصطلح في الرواية التاريخية داخل الأطر اللسانية أو النقدية الصرفة، بل هي

إشكالية مرتبطة بـ "أفق توقع" القارئ العربي من جهة، وبتحولات "الوعي التاريخي" في المجتمعات التي تعاني من

أزمات الهوية من جهة أخرى. ففي المرحلة الكلاسيكية للرواية التاريخية (مرحلة جورج زيدان)، كان القارئ يتلقى

النص بوصفه وسيلة تعليمية لتبسيط التاريخ. أما في ظل المصطلحات الجديدة (التخييل التاريخي، الميتاسرد)، فقد

تغيرت هذه العلاقة:

• التلقي التفاعلي: القارئ المعاصر لم يعد يبحث عن "الحقيقة" في الرواية، بل يبحث عن "التأويل". المصطلح

الجديد (التخييل التاريخي) يفرض على القارئ دوراً نقدياً، حيث يجعله يدرك أن ما يقرأه هو "رؤية للماضي" وليس

"نسخة عنه".

• كسر الوهم المرجعي: من خلال تقنيات "الميتاسرد التاريخي" التي أشار إليها فاضل ثامر، يتم دفع القارئ

للشك في السلطة التوثيقية، مما يحول عملية القراءة إلى فعل "استقصاء" مشترك بين الكاتب والمتلقي. وأما عن

ربط عبد الله إبراهيم ازدهار "التخييل التاريخي" بالآزمات المجتمعية المعقدة. فالتوسع في هذا المصطلح يعكس حاجة

الشعوب إلى:

• إنتاج هوية بديلة: عندما يصبح الحاضر "كثيفاً وتتضارب فيه وجهات النظر"، يغدو الماضي هو الملجأ

الوحيد لإعادة صياغة الذات.

• البحث عن "الصفاء": التخيل التاريخي يمنح الجماعات التاريخية فرصة لإنتاج مسارات "متفردة" تعوض عن انكسارات الواقع الحالي. وهنا تكمن خطورة المصطلح؛ إذ يمكن أن يتحول من أداة جمالية إلى أداة "أيديولوجية" لإعادة اختراع التراث بما يخدم الحاضر.

عموما يكشف جدل المصطلح القائم بين سعيد يقطين، وعبد الله إبراهيم، ونادية هناوي، أننا بصدد عملية "تكامل". فالتاريخ بدون سرد يظل "أحداثاً ميتة"، والسرد بدون تاريخ يظل "خيالاً طائراً". المصطلح الذي ننشده اليوم ليس هو الذي "يلغي" التاريخ لصالح الخيال، بل هو الذي يقدم "عدالة تاريخية" للهوامش والمسكوت عنهم، وهو ما تجلّى في مفهوم نادية هناوي حول "رواية التاريخ" كفعل لامتركز.

بهذا نصل إلى ختام مقاربتنا النقدية التي استعرضت مسارات المصطلح من فلسفة "ريكور" و"وايت" إلى منجزات النقد العربي. أنّه رغم التعدد المصطلحي (التخيل التاريخي، الميتاسرد، رواية التاريخ، الرواية الاستقصائية)، يظل مصطلح "الرواية التاريخية" هو المطلب الأوسع. فهي الجنس الذي يستثمر الوثيقة ليعيد صياغتها ضمن "هوية سردية" جديدة. وكما يرى "نجيب محفوظ"، فإنّ الرواية هي "تاريخ ما لم يكتبه المؤرخون"؛ فهي تتقصى المسكوت عنه وتغوص في اليومي والهامشي. إنّها جنس غير قابل للتقنين النهائي، يعيد النظر في أشكاله باستمرار، ليظل جسراً لا ينقطع بين واقع الماضي وتطلعات الحاضر.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم، عبد الله. (2011). *التخييل التاريخي: السرد، الإمبراطورية، والتجربة الاستعمارية* (ط. 1). المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
2. إبراهيم، عبد الله. (2016). *الشروود نحو الماضي: تمثيلات التاريخ في السرد العربي المعاصر*. مجلة الجديد.
3. الأعرج، واسيني (2005). *رواية كتاب الأمير: مسالك أبواب الحديد* (ط. 1). دار الآداب.
4. الأعرج، واسيني (2011). *سيرة الرواية: محطات ولحظات* (ط. 1). دار الفضاء الحر.
5. ثامر، فاضل. (2013). *المبنى السردى: في الرواية والقصبة القصيرة* (ط. 1). دار الشؤون الثقافية العامة.
6. ريكور، بول. (2006). *الزمان والسرد: الحكمة والتدوين التاريخي* (س. الغانمي، مترجم؛ ج. 1، ط. 1). المركز الثقافي العربي.
7. سلطان، محمد خيضر. (2010). *الرواية الاستقصائية... هل هي جنس أدبي؟ مجلة الثقافة الجديدة*. (345)
8. هناوي، نادية (2017). *السرد القابض على التاريخ: تمثيلات الماضي في الرواية العربية الجديدة* (ط. 1). دار غيداء للنشر والتوزيع.
9. يقطين، سعيد (2016). *الفكر الأدبي العربي: قراءات في النقد الحديث* (ط. 1). المركز الثقافي العربي.
10. Veyne, P. (1971). *Comment on écrit l'histoire: essai d'épistémologie*. Éditions du Seuil.
11. White, H. (1987). *The content of the form: Narrative discourse and historical representation*. Johns Hopkins University Press.